مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 28، العدد 8: 2020.
Journal of University of Babylon for Humanities, Vol.(28), No.(87): 2020.

جدلية العلم وتاريخه: اللسانيات والتراث اللغوي العربي نموذجا

مصطفى غلفان
كلية الآداب والعلوم الانسانية/مراكش /الدار البيضاء / المغرب
M_ghelfane@yahoo.fr

معلومات البحث
تاريخ الاستلام : 17 /7/ 2020
تاريخ قبول النشر:16 /8/ 2020
تاريخ النشر: 3/ 11 / 2020

المستخلص.

تستعرض هذه الورقة البحثية جملة من الملاحظات المنهجية العامة حول الصلة المعقدة بين علم من العلوم وتاريخه مجسدة في صلة اللسانيات بالتراث اللغوي العربي. تساءلنا أولا عن طبيعة القضايا العامة التي تطرحها العلاقة بين العلم وتاريخه، ثم استعرضنا بعض مواقف اللسانيات من ماضيها القريب والبعيد من جهة أولى، ومن التراث اللغوي العربي من جهة ثانية. وحاولت الورقة أيضا رصد الخلفيات الفكرية التي انطلق منها اللغويون العرب المحدثون لتقييم التراث اللغوي العربي في ضوء اللسانيات في إطار ما يعرف بإعادة قراءة، لنختم الورقة بالتنبيه إلى محدودية المقاربة القرائية علميا ومن ثمة ضرورة توجيه البحث اللساني العربي المعاصر نحو استثمار اللسانيات لا في تقييم التراث اللغوي فحسب وإنما لمعالجة بنيات اللغة العربية بالمقام الأول.

الكلمات الدالة: اللسانيات، التراث اللغوي العربي، تاريخ العلم، الإبستيمولوجية التاريخية، إعادة القراءة.

Science Dialectics and its History: Linguistics and the Arabic Linguistic Heritage As a Model

Mostafa Ghelfane
College of Letters and Human Sciences / Marrakech / Casablanca/ Morocco

Abstract

This paper examines a number of general methodological observations related to the complex relation between a given scientific discipline and its history, in this case, between Linguistics and the Arabic linguistic heritage. First, we address the general issue of the relationship between a science and its history. Second, some past and present perspectives on the study of language are surveyed from the perspective of Tradition. Third, an attempt is made at surveying the intellectual fundamentals on the basis of which modern Arab linguists have evaluated the legacy of the linguistic heritage in the context of what is commonly known as 'the re-reading of the Arab linguistic tradition'. We conclude by noting that the 're-reading' approach is rather limited scientifically. Thus, it is suggested that instead of evaluating the linguistic legacy of the past for what it is worth, research in Arabic linguistics should focus on the actual study of the Arabic language and its structures in their historical evolution.

Key Words: Linguistics, Arabic linguistic heritage, history of science, historical epistemology, re-reading.

Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH) by University of Babylon is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License

المقدمة:

يكاد يكون التقابل بين القديم والحديث والتعارض بينهما في مختلف تجلياتهما المادية والمعنوية أمرا عاديا في كل الأمكنة والأزمنة حيثما وجد الإنسان، وثنائية القديم والحديث لها أبعاد مختلفة نفسيا واجتماعيا وثقافيا لا يخلو منها جانب من جوانب حياتنا العامة والخاصة. وسيظل هذا التقابل قائما بصفته يجسد منزعا طبيعيا بين "ما يقوم الآن" و "ما قد مضى" (بلغة تقنية نقول: حضور البنية والتطور)، بل إن التوتر بين القديم والحديث الذي يشكل سمة أساسية في الحياة له –بحسب بعض الباحثين– جذور أحيائية [بيولوجية] عند الكائن البشري[1]، ويزداد التنافر بين القديم والحديث حدة ليأخذ صورة أشد وأقوى بروزا حين ينتقل أمره إلى صعيد المعرفة والفكر وتبني المواقف إزائهما. ويندرج في هذا السياق النقاش حول العلاقة بين التصورات والمعارف القديمة ونظائرها الحديثة. وهي العلاقة التي تشكل موضوع هذا التكريم المستحق عن جدارة للأستاذ الدكتور جابر عصفور، أحد أقطاب الفكر العربي المعاصر وهم قلة قليلة جدا ممن عرفوا كيف يمزجون دقة فائقة وسلاسة تصورية لافتة وبانسجام فكري بين مضامين ما هو قديم في بعده المعرفي عامة والأدبي خاصة وما هو وافد حديث أخذا وعطاء، بحثا وتدريسا وترجمة.

نقسم البحث إلى المحاور الآتية:

1- أي علاقة بين التراث اللغوي واللسانيات؟
2- العلم وتاريخه: قضايا عامة.
3- اللسانيات والإرث اللغوي.
4- التراث اللغوي العربي في مرآة اللسانيات.
5- المنظور التاريخي لإعادة قراءة التراث.
6- الحاجة إلى إبستيمولوجيا تاريخية.
7- لكي لا نختم.

1-أي علاقة بين التراث اللغوي واللسانيات؟

نعرض هنا بعض تجليات التراث اللغوي العربي القديم في علاقته باللسانيات مفترضين بصفة عامة أن المنحى المتبع عربيا في التعاطي نظريا ومنهجيا مع التراث اللغوي العربي القديم في ضوء اللسانيات لا يتوافق دائما مع ما هو متعارف عليه من تصورات وآراء في تاريخ العلوم وفلسفتها، لاسيما حين نضع ملاحظاتنا في سياق العلاقة الجدلية بين علم من العلوم وتاريخه. نحن نتحدث عن اللسانيات (بوصفها علما له أصوله وقواعده المعرفية والمنهجية) في علاقتها بالتراث اللغوي العربي بوصفه صورة من صور تاريخ اللسانيات. ومعلوم لدى المهتمين بالتراث اللغوي العربي –قديمه وحديثة– أنه ظهر في الثقافة العربية الحديثة منذ ثمانينيات القرن الماضي جملة من المشاريع العلمية البارزة التي رصدت بعمق ودقة مظاهر الائتلاف والاختلاف بين تراثنا اللغوي واللسانيات على نحو ما نجد عند عبد الرحمان حاج صالح وعبده الراجحي ونهاد الموسى وعبد السلام المسدي. ماذا بقي من هذه المشروعات التي شغلت الجميع وتحمس لها الكل وقتئذ؟ ماذا بعد مشروع(ات) قراءة التراث (اللغوي العربي) في ضوء اللسانيات؟ ما هي إمكانات وحدود هذه الدراسات وغيرها؟ والواقع أن توقف–المشروعات السابقة حتى لا نقول فشلها بالرغم من قيمتها التاريخية والحضارية– مرده في نظرنا إلى عقم المنطلق في تعامل معرفي لاعقلاني مع التراث اللغوي العربي في ضوء اللسانيات ونظرياتها ومناهج البحث فيها ترتبت عليه مستويات مختلفة من التضليل الفكري والتهافت

النظري والمنهجي جسد اندحار نظرية المعرفة (الإبستيمولوجيا) العقلانية بمكوناتها الفكرية والتاريخية في هذه الكتابات وما يسير على حذوها. ويرجع هذا الأمر إلى غياب تحديد مضبوط لطبيعة الصلات المعرفية والمنهجية بين العلم (اللسانيات) وتاريخه (التراث اللغوي العربي أو أي تراث آخر). وإذا كان مشروع الدارسين العرب الذين سبقت الإشارة إليهم لم يخلص إلى نتائج ذات مردودية بالنسبة للدرس اللغوي العربي –قديمه وحديثه– فلأن رؤيتهم ظلت مجرد تعبير عن تأويلات وأحاسيس تقوم على نخوة تاريخية تتغنى بمنجزات الماضي أكثر مما هي تحليلات معرفية دقيقة ترصد ما يمكن أن يستخلص معرفيا من عصارة العلاقة بين التراث واللسانيات. ولم تكن منطلقاتهم خارج نطاق الفكر اللغوي عامة الهندي والإغريقي ولغويات القرون الوسطى وعصور الأنوار فحسب، وإنما خارج كل الاعتبارات المتعلقة بدينامية المعرفة الإنسانية وسيرورة العلم التاريخية. وليس ضرورياً أن نجعل من اللسانيات مصدرا للمقارنة والمقايسة. ولعله من المفيد أن نذكر باستحالة مقايسة النظريات العلمية في الحقبة الحديثة عند عملاق الإبستيمولوجيا كارل بوبر Karl Popper (1902–1994) فيما بينها فما بالنا بتطبيق مبدأ المقايسة بين نظرية قديمة وأخرى حديثة؟ ومقايسة النظرية التراثية بالنظريات اللسانية قائمة عربيا على القول باحتواء التراث اللغوي العربي للسانيات بكل نظرياتها ومناهج البحث فيها، مثلما يدعى كثير من اللغويين العرب، وهي على أية حال مقايسة غير مهمة من الناحية العلمية ولا تضيف للسانيات ولا للعلم عامة شيئا جديرا بالذكر.

لقد حان الوقت لتحويل مسار البحث في صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات بإدراجها في سياق التحليل الموضوعي ضمن ما يسمى بتاريخ الأفكار عامة وتاريخ الفكر اللغوي خاصة باعتماد أسس إبستيمولوجية محددة، بدلا من الاستمرار في إنتاج ثقافة الإطراء والتنويه بكل ما هو معرفة محلية كلما أثيرت مسألة العلاقة بين اللسانيات والتراث اللغوي العربي عامة والنحو العربي خاصة. ينبغي توجيه نظرتنا إلى التراث اللغوي العربي في ضوء مستجدات اللسانيات نحو الاستفادة من تاريخية اللسانيات ونتائج أبحاثها لا في إعادة صياغة المنظومة التراثية حسب ما تتفضل به علينا اللسانيات ووفق ما يحلو لنا كما صنعت الدراسات المشار إليها، بل بالاستناد شكلا ومضمونا إلى المقاربات اللسانية في معالجة بنيات اللغة العربية اكتسابا واستعمالا وهو ما تحتاج إليه دراسة اللغة العربية من منظور اللسانيات. والملاحظ أنه نادرا ما «نجح دارس عربي للسانيات في أن يصنع منوالاً يليق باللغة العربية مراعيا خصوصيتها الثقافية دون السقوط في التواطؤ على النتائج التي آلت إليها الأبحاث الحديثة في الغرب أو العودة إلى التغني بأسبقية مغمورة (فتُحُدِّث مثلاً عن بنيوية الجرجاني وتداولية الجاحظ يعمد الباحث بفطنته النادرة إلى كشفها وإزاحة النقاب عنها»[2].

هذا لا يعني أن التراث اللغوي العربي (وغير العربي ونقصد التراث الهندي واليوناني والروماني ولغويات القرون الوسطى) يخلو من تصورات تحمل إشارات معرفية إيجابية تخص دراسة اللغة عامة وبنيات اللغة العربية خاصة. ونحن لا نقلل من قيمة التراث اللغوي العربي في ذاته بوصفه معطى معرفي يجسد تمثلات فكرية مرتبطة بسياقات تاريخية وحضارية ليس هنا مجال التفصيل فيها، ولكننا ننأى عن التعامل العاطفي الذي يقوم على إقحام التراث اللغوي –بمناسبة ومن دونها– في صلب قضايا اللسانيات العامة نظريا ومنهجيا. ولهذا لا اعتراض على الاهتمام اللغوي العربي والعمل على التعريف به ونشره بالشرح والتفسير والتقويم ولكل الذين نشروا نصوصا تراثية في صورة حديثة تقديرنا القوي لما بدل من جهد، لكن استعادة النصوص التراثية بما تتضمنه من تصورات ومفاهيم ومصطلحات لغوية قديمة في إطار ما يعرف بإعادة قراءة التراث ينبغي أن لا يتم في سياق تضليل معرفي لا يستند على أية مقومات علمية وأوليات منهجية مضبوطة ومحددة، مثلما نلحظ ذلك اليوم في جل القراءات العربية الحديثة لتراثنا اللغوي نحوا ولغة وبلاغة.

2- العلم وتاريخه: قضايا عامة

البحث في اللغة تراث إنساني قديم قِدَم اللغة نفسها حتى قبل ظهور اللسانيات. ومنذ وجد الإنسان وهو يتأمل ماهية اللغة التي يتكلمها وسعى باستمرار إلى الكشف عن أسرار وجودها وتجلياتها المتعددة في علاقاتها بالمجتمع وبالسحر والشعوذة والطقوس الدينية. ونجد في كل الثقافات القديمة والحديثة على حد سواء تساؤلات عن أصل اللغة وكيف وصلت إلينا، ولماذا لا يتكلم الناس جميعهم لغة واحدة، وما علاقة كلمات اللغة بالأشياء التي نتحدث عنها وما هو نظام اكتساب اللغة ومعرفتها وآليات التفاهم بها وغيرها من التساؤلات المشروعة. لم ننتظر ظهور اللسانيات تاريخيا لنجد تصورات وآراء في الظاهرة اللغوية تحاول تقديم أجوبة عن التساؤلات السابقة. ومن جهة ثانية خلفت الحضارات الإنسانية تراثا غنيا من التصورات اللغوية والمفاهيم، وهو ما يجعل مسألة البحث في العلاقة بين التراث اللغوي عامة واللسانيات في غاية الصعوبة بسبب غياب موقف إبستيمولوجي تاريخي يرسم بدقة معالم ما يجمع بين التراث اللغوي واللسانيات وما يفرق بينهما، إذ تظل صلتهما فصولا من تاريخ التفكير اللغوي التي لم تكتمل بعد كتابتها. وتعد كتابة تاريخ علم من العلوم محاولة محفوفة بالمخاطر لما تتضمنه من إشكالات تصورية ومنهجية. فكتابة التاريخ عموماً وليس تاريخ المعارف والعلوم فحسب كتابة ذاتية تنطلق من سياق معرفي مختلف عن السياق العام للموضوع المؤرخ له، مستعينة بأدوات تصورية ومنهجية مستمدة من عصر صاحبها. ومؤرخو كل حقبة يدونون التاريخ ويفهمون أحداثه ووقائعه انطلاقاً من وجهة نظر عصرهم بمكوناته المعرفية والحضارية عامة. فنحن نكتب التاريخ كما نتصوره ونفهمه ونؤول أحداثه، بل إننا نبدع التاريخ الذي نكتبه وفق نمط تفكيرنا[3]. وكتابة التاريخ بهذا المعنى، سواء تعلق الأمر بتاريخ الشعوب والحضارات أو بتاريخ المعارف والعلوم قراءة معاصرة لمعطيات قديمة، مما يطرح إشكالية حدود تأويل الآراء والتصورات القديمة في ضوء المعارف الحديثة.

والحديث عن العلاقة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات كما هو وارد في كتابات لسانية عربية معاصرة يطرح بدءا المشروعية التاريخية والمعرفية لهذه العلاقة. فاللسانيات -على العكس الثقافات الأخرى كالثقافة الفرنسية أو الإنجليزية- ليست استمرارا للتراث اللغوي العربي، وإنما هي كغيرها من العلوم الإنسانية معرفة وافدة علينا تعرفت عليها الثقافة العربية نتيجة للانفتاح والمثاقفة منذ منتصف القرن الثامن عشر. واللسانيات شأنها شأن كل العلوم والمعارف لها تاريخها بالمعنى الواسع لكلمة التاريخ. والعلماء في كل جيل لا يبدأون من فراغ، ولكنهم يعملون على أساس الوضع الذي ورثه علمهم وورثه العلم بوجه عام في ثقافتهم وفي عصرهم"[4]. غير أن نظرة العلماء إلى موضوع التأريخ للعلم تختلف من زمان معرفي إلى آخر ومن حقبة تاريخية إلى أخرى. وهو ما يجعل تاريخ العلم أصنافا مختلفة ليس هنا مجال الخوض فيها[5]. وهو أيضا تاريخ العلم متشعب يشمل زوايا متعددة تصب في مجملها في البحث عن الأسس العلمية والمنهجية التي تأسس عليها العلم في مرحلة من مراحله، أو استندت إليها نظرية من النظريات العلمية، أو هو أيضا صورة تقريبية عن واقع ممارسة علمية في مجال معرفي معين. إن "تاريخ العلم" إجمالاً تتبع تاريخي يقوم على تحليل نتائج الأحداث العلمية الحاسمة التي عرفها مجال علمي معين في مرحلة معينة من تطوره في أفق التوصل إلى صياغة المبادئ العامة التي تحكمه والعقبات التي تعترضه. وتاريخ العلم بهذا المعنى، هو العلم ذاته، لأنه يعود بنا إلى أصول الممارسات لفهمها بكيفية أفضل وأعمق لتوضيح شروط إنتاج المعرفة العلمية الصحيحة، "وقد يصبح تاريخ العلم هو تاريخ المعرفة الإنسانية نفسها، "إن تاريخ العلم هو في آن واحد تاريخ المعرفة البشرية وتاريخ الرجال الذين يتعلمون معرفة العالم"(...) إن تاريخ العلم هو قبل كل شيء تاريخ فهم العلم"[6].

يُبَيّنُ البحث في تاريخ العلوم أن العلوم والمعارف لا تنشأ فجأة بين عشية وضحاها، وإنما هي تسلسل من المراحل واللحظات المعرفية المتفاعلة. ويوصف هذا التصور لعلاقة العلم بتاريخه بالتصور الاستمراري، أي نمو المعرفة وتطورها عبر مراحل تتفاعل فيما بينها أخذا وعطاء سلبا وإيجاباً قبل أن تصل المعرفة إلى قمة النضج (موقف ألكسندر كويري Alexandre Koyeré 1892–1964على سبيل التمثيل). ومقابل التصور الاستمراري يطل علينا التصور القائل بالقطيعة بين مراحل الفكر العلمي وانفصالها التام الذي دافع عنه الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلارد Gaston Bachelard 1884–1992 الذي يرى أن العلم أو الفكر العلمي الجديد لا يتحقق إلا إذا قطع صلاته التصورية العامة التي تربطه معرفيا بالعصر الذي سبقه. "فتاريخ العلم هو تاريخ بأخطاء العلم، وليس تاريخا للحقيقة، إنه تاريخ ما ليس العلم إياه، وما لا يريد العلم أن يكونه، وما يعارضه العلم. إن تاريخ العلم هو تاريخ اللاعلم"[7]. ويطرح التصوران السابقان بشأن صلة العلم بتاريخه، أي "الاتصال بين العلم وتاريخه أو انفصالهما "جملة من القضايا التصورية العامة التي تجسد نوعا من التوتر والاستفزاز المتبادل بينهما يجعلنا أمام عدد من الأسئلة التي لا نتوفر دائما على أجوبة حاسمة لها ومنها:

– متى ينبغي الربط بين العلم وتاريخه؟ – كيف يتم ذلك؟ ما النتائج العلمية والمنهجية المترتبة على الربط بين العلم وتاريخه؟ هل هناك نظرية عامة لتاريخ العلوم؟ هل يتعلق الأمر بفضول فلسفي إزاء العلم، أو بهاجس علمي نحو الفلسفة والتاريخ؟

نحن بصدد قضايا فلسفية ومنهجية تعانق العلم كنظرية عامة والفلسفة والتاريخ، إضافة إلى المجال العلمي الخاص بهذا العلم أو ذاك. وسواء أتعلق الأمر بالتصور القائل بالاستمرارية أو التصور القائل بالقطيعة [أو بالتحول المتدرج للنماذج الإرشادية Paradigmes عند توماس كون1922– 1996][8]. فإن تاريخ العلم يطرح زمرة من المشاكل والأسئلة المنهجية والفلسفية.

– هل يكون تاريخ علم ما وسيلة لاكتشاف الحقيقة الماضية فقط، أو إنه وسيلة للوصول إلى المنهج العلمي الصحيح؟

– هل يكوّن تاريخ العلم تاريخ انتقال المذاهب اللغوية ونظرياتها، وانتقال المبادئ والطرائق المتبعة في هذه النظريات؟

– هل يكون تاريخ العلوم تاريخا في المصادر والتأثيرات الكبرى التي عرفتها العلوم؟[9]. وبالإضافة إلى التساؤلات السالفة الذكر، فإن الأسئلة النظرية والفكرية التي تطرح نفسها بإلحاح، وتشكل نواة العمل في تاريخ اللسانيات، تتمثل في الإجابة أولا عن أي تاريخ للسانيات نريده وأي لسانيات نعني؟

3–اللسانيات والإرث اللغوي:

المعروف أن اللسانيات العامة Linguistique générale لم تصبح علماً مستقلا وقائما بذاته إلا في بداية القرن العشرين مع دروس دو سوسير المنشورة سنة 1916. واللسانيات الحديثة تفكير في المبادئ العامة التي تحكم طبيعة اللغة البشرية عامة ونظريات في معالجة بنيات اللغات الطبيعية، وهي تفكير له سماته النوعية التي تميزه عن غيره من أنواع التفكير اللغوي كالتفكير اللغوي التاريخي والمقارن. وبهذا الفهم لسيرورة التفكير اللغوي عامة، يمكن القول إن اللسانيات ليست إلا مرحلة من مراحل التفكير اللغوي الممتد عبر التاريخ والحضارات الإنسانية الكبرى. فكيف تنظر اللسانيات إلى التراث اللغوي الإنساني عامة والعربي خاصة في ضوء ملاحظاتنا الإبستيمولوجية السابقة؟

إن إطلالة سريعة على الأدبيات اللسانية الحديثة وموقفها من التفكير اللغوي القديم بوصفه مراحل متلاحقة من المعرفة اللغوية تبين وجود تصورَي الاتصال والانفصال معا في التعامل مع التراث اللغوي الإنساني في عموميته بصفته تاريخا للسانيات. وطبيعي أن الحكم على الفكر اللغوي القديم وفق المقولات والشعارات النظرية والمنهجية الكبرى التي دعا إليها أقطاب اللسانيات ومريدوها يعني ببساطة إلغاء قرون عديدة من النشاط اللغوي المبدع والمجدد من سجل الحضارات الحافل بالعطاء المعرفي في حقل اللغة عند الهنود واليونان والعرب إضافة إلى الجهود اللغوية المتلاحقة منذ القرون الوسطى. يذهب ليونارد بلومفيلد Bloomfield 1887–1949 مثلا إلى القول بأن "الدراسة العلمية للغة لم تبدأ إلا منذ القرن الماضي فقط عن طريق الملاحظة الواعية والواسعة ومن ثمة فإن اللسانيات ليست سوى في بداياتها"[(10)]، وهو بذلك يحدد ميلاد اللسانيات في منتصف القرن التاسع عشر على وجه التقريب مع ظهور المنهج التاريخي–المقارن. لكن موقف بلومفيلد المتشدد الذي يلغي إسهام الفكر اللغوي القديم إجمالا يثني في الوقت ذاته على عمل النحوي الهندي بانيني (520 ق م – 460 ق. م) في القرن الخامس قبل الميلاد.

ولا يأخذ موقف بلومفيلد من التفكير اللغوي القديم كل اللسانيين ولاسيما مؤرخي اللسانيات منهم. يوضح روبنز R H Robins 1921–2000 في كتابه الشهير "التاريخ الموجز للسانيات من أفلاطون إلى تشومسكي" (الصادر سنة 1968) العلاقة التاريخية المتينة بين التصورات اللغوية القديمة والتصورات اللسانية الحديثة قائلاً: "إن اللسانيات اليوم، مثلها مثل فروع العلم والمعرفة الإنسانية الأخرى، ومثل كل مناحي الثقافات الإنسانية، عبارة عن نتاج لماضيها، وعبارة عن مادة لمستقبلها. والأفراد يولدون وينمون ويعيشون في بيئة تتحدد فيزيائيا وثقافياً بماضيها، وهم يشتركون معا في هذه البيئة"[(11)]. ويثني روبنز إجمالاً على الإرث اللغوي القديم في كل الحضارات الإنسانية السالفة.

وينحو الموقف نفسه أحد كبار مؤرخي اللسانيات الفرنسي جورج مونين Georges Mounin 1910 – 1993 الذي يرى أن اللسانيات تضرب في عمق التاريخ الفكري والمعرفي الإنساني، وأنها "لم تنبثق فجأة في القرن التاسع عشر كما تنفجر العاصفة في سماء صافية. لقد مهد لظهورها آراء سابقة في اللغة، على الأقل منذ مصر القديمة"[(12)]. ويوضح مونين فكرته السابقة مشيراً إلى علاقة اللسانيات بتاريخها عبر ما تطرحه نشأتها من اختلافات جوهرية بسبب غياب الاتفاق على تاريخ محدد لهذه النشأة، إذ "يختلف تاريخ اللسانيات بحسب وجهة النظر التي قد يتخذها الباحث، وعليه فإن اللسانيات قد تكون نشأت حوالي القرن الخامس قبل الميلاد (يشير إلى اللغوي الهندي الشهير Panini بانيني)، أو مع فرانز بوب Franz Bopp 1791–1867 سنة 1816 أو سوسير Saussure 1857–1913 سنة 1916، أو تروبتسكوي Nikolai Seguéiévitch Troubestkoi 1890–1938 سنة 1926، أو تشومسكي Noam Chomsky (1928–) ابتداء من سنة 1956"[(13)]، ومعلوم أن هذه القمم التي تمثل منعطفات حاسمة في تاريخ الفكر اللغوي قديمه وحديثه كان لها أثر قوي على تطور الدرس اللغوي عامة وعلى اللسانيات نفسها في القرن العشرين. وبقدر ما شكل هؤلاء الأعلام اللسانيين محطات تاريخية توحي لأول وهلة بالاستمرارية على المستوى الزمني المحض، فإن المضمون النظري الذي قدمته اللسانيات منذ منتصف القرن العشرين حتى اليوم يجسد أيضا قطائع إبيستيمولوجية بارزة مكنت اللسانيات ذاتها من تجاوز ذاتها لترسم في كل محطة معالم لسانيات مختلفة عن سابقتها من حيث الأسس والأهداف على ما هو معروف في البحث اللساني الحديث منذ سوسير مع أعمال تروبتسكوي ورومان جاكبسون Roman Jakobson 1896– 1982 ; وظهور اللسانيات التوليدية التحويلية مع تشومسكي ابتداء من سنة 1956 واللسانيات

التداولية وغيرها من الاتجاهات اللسانية والنظريات التي ظهرت منذ استقلال اللسانيات واستقراها النظري والمنهجي..

ويلاحظ متتبع تاريخ الفكر اللغوي عامة واللسانيات خاصة، أن العلماء الذين كانت لهم الريادة في اللسانيات، وشكلوا من دون شك منعطفاً تاريخياً حاسما في تطورها، عبروا عن إعجابهم بالإرث اللغوي القديم وتنويههم به اعترافا بما تلقوه عن قدماء اللغويين والنحاة أو بالفكر اللغوي الذي نشأوا في كنفه معرفيا، ولم يقتنعوا بمبادئه كليا أو جزئياً. على نحو ما حصل لسوسير تلميذ النحاة الشباب في ألمانيا، وتشومسكي الذي تتلمذ على يد هاريس1909–1992 اللساني البنيوي الشهير. فسوسير وتشومسكي هما من دون منازع من الرواد المؤثرين والفاعلين في تجديد علم اللسانيات الحديثة وانتقالها من براديغم إلى آخر حيث وضع الأول أسس ما يعرف بالمنهجية البنيوية التي اشتهر تطبيقها لا في اللسانيات وإنما في كل العلوم الإنسانية، بينما صاغ الثاني منطلقات النحو التوليدي ومبادئه الذي يعد حقا قطيعة مع اللسانيات البنيوية الوصفية. إن سوسير (1857–1913) الذي يعد في نظر جل مؤرخي الفكر اللغوي مؤسس اللسانيات، بوصفها علما مستقلا له أصوله وقواعده المنهجية ومفاهيمه النظرية، لم يكن مقتنعاً بآراء أساتذته من رواد المنهج التاريخي إبان العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر، بالرغم من أنه نشأ علميا في حضنهم وتتلمذ عليهم. وعلى الرغم من خلافه النظري معهم، فإنه يُقِرُّ صراحة في "المحاضرات" بقيمة إسهام اللغويين القدامى تاريخيين ومقارنين وأثرهم الإيجابي في علمية اللسانيات بالرغم من بعض العيوب المنهجية. وعدّ سوسير اللسانيات ليست سوى استمرار لمراحل لغوية سابقة حددها في ثلاث مراحل أساسية هي:

– النحوGrammaire: بدأه اليونان وأكمله الفرنسيون،وهو قائم على المنطق. إنه ممارسة معيارية.

– الفيلولوجياLa philologie: وقد ظهرت في الإسكندرية ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد.

– النحو المقارن أو الفيلولوجيا المقارنة La philologie comparée: وبدأت مع Franz Bopp[14].

وواضح أنه لا إشارة إلى التراث اللغوي العربي في دروس سوسير.

أما تشومسكي –رائد النحو التوليدي– فقد أرْجع أُصُولَ نظريته التوليدية التحويلية إلى القرون السابقة وتحديدا إلى القرنيين السابع عشر والثامن عشر، عصر ازدهار الفكر العقلاني، ولا سيما في فرنسا مع فيلسوف العقلي رونيه ديكارت René Descartes 1596– 1950 ونحاة دير بور رويال Port Royal وجيمس هاريس James Harris 1709–1780 في أنجلترا. كما جعل تشومسكي من رجل الفكر الألماني همبولدت William Von Humboldt 1767–1835 مصدراً أساسياً لبعض من تصوراته التوليدية (مفهوم البنية العميقة والبنية السطحية ومسألة الإبداع اللغوي أي قدرة اللغة على إنتاج وسائل لغوية لا محدودة بوسائل محدودة). عموما يذهب تشومسكي إلى اعتبار النحو التوليدي في جوانب عديدة منه تفسيرا لأوجه الحدس التي لا حظها النحو التقليدي ووقف عليها، وأن الأنحاء التقليدية القديمة هي أنحاء توليدية تحويلية بشكل غير مصرح به[15].

ليس بإمكان متتبعِ تاريخ الفكر اللغوي أن يُنْكِرَ القطيعةَ النظرية والمنهجية التي أحدثتها اللسانيات مع الفكر اللغوي القديم. لقد تم التخلي عن كثير من الأفكار الفلسفية المتعلقة بأصل اللغات ونشأتها وما شابه ذلك وعن المفاضلة بين الألسنة وربط دراسة اللغة بالمجالات الأدبية والفنية والفلسفية، إضافة إلى ما وضعته اللسانيات من مقومات نظرية ومنهجية محددة ودقيقة واقتراح ترسانة من أدوات التحليل وتقنياته. وتتجلى قطيعة اللسانيات مع الفكر اللغوي القديم أيضا في مجمل المتطلبات التي سنتها اللسانيات في ما يتعلق بتحديد

مجالها وطبيعة موضوعها، وضبط المفاهيم والأدوات الإجرائية الأساسية لمقاربة هذا الموضوع، والرغبة في استقلالية اللسانيات عن العلوم التي تشترك معها اللغة البشرية مادة للبحث والتنقيب وفي الوقت ذاته الإفادة من مجالات العلوم ذات الصلة باللغة سواء أكانت علوما إنسانية أم علوما دقيقة.

4.التراث اللغوي العربي في مرآة اللسانيات

أولا: في الفكر اللغوي الغربي[16]

في إطار وعي اللسانيات بماضيها الضارب في عمق التاريخ البشري ولاسيما في التقاليد غير الغربية، أبدى عدد من اللسانيين الغربيين في أوربا وأميركا موقفهم من الفكر اللغوي القديم وقيمة التصورات والمفاهيم التي تضمنها. ونعرض فيما يأتي الخطوط العامة لمكانة التراث اللغوي العربي القديم ضمن عيّنة تشمل أبرز الكتابات اللسانية الحديثة التي تناولت موضوع تاريخ اللسانيات.

أفرد ليونارد بلومفيلد Bloomfield في كتابه اللغة Le langage (الصادر سنة 1933) للفكر اللغوي القديم ما يقارب خمس عشرة صفحة، لم يكن نصيب التراث اللغوي العربي منها أكثر من سطرين، أشار فيهما إلى مسألتين: الأولى: أن العرب وضعوا على أسس متداولة قبلهم في إشارة إلى تأثير الهنود واليونان في العرب، نحوا للشكل التقليدي للغة القرآن، والثانية أن اللغويين العبرانيين ساروا على نهج العرب في التأليف والتحليل اللغويين[17].وتحدث موريس لوروا Maurice Leroy 1909–1990 في كتابه: الاتجاهات الكبرى في اللسانيات Les grands courants de la linguistique_ (باريس1963) عن الفكر اللغوي القديم قبل ظهور اللسانيات، من دون أن يشير لا من بعيد ولا من قريب إلى التراث اللغوي العربي. ويعد مصنف ميلكا إيفيتش Milka Ivic 1923–2004 اتجاهات البحث اللساني Trends in linguistics (الصادر سنة 1963)[18] من أهم الدراسات التاريخية التي تتبعت بالتدقيق والتفصيل تطور التصورات اللغوية في مختلف الثقافات الشرقية والغربية قبل ظهور اللسانيات. غير أن صاحبة الكتاب لم تستطع –فيما يبدو– التخلص من الآراء الجاهزة والأحكام المسبقة التي كَوَّنَها الفكر الغربي عن التراث اللغوي العربي، إذ اختصرت المؤلفة صورته في كَوْنِ العرب قد اتبعوا في تقاليدهم النحوية واللغوية خُطَى النحاة واللغويين الهنود والإغريق والسريان، وأنه لَمَّا كان نمط اللغة العربية مختلفاً عن نَمَطِ اللغة الإغريقية، فإن طريقة النحاة العرب في معالجة اللغة العربية جاءت مغايرةً لمنهجية الإغريق. وأبرزت صاحبة الكتاب أن اهتمام النحاة العرب بلغة القرآن الكريم رغبة في المحافظة على سلامة النص المقدس من اللحن والتحريف الذي كان الدافع الأساس وراء نشأة البحث اللغوي العربي ونموه، مما يفسر عناية اللغويين العرب البالغة بالجانب الصوتي للنص القرآني وللغة العربية. وتميز العرب في مجال الدراسات المعجمية حسب ميلكا إيفيتش، لشغفهم الشديد بلغتهم، التي كانت بالنسبة إليهم لغة مقدسة[19].

ويعد كتاب روبنز R.H. Robins: التاريخ الموجز للسانيات من أفلاطون إلى تشومسكي Brève histoire de la linguistique de Platon à Chomsky (الصادر سنة 1966) من أهم المصنفات التي رصدت بموضوعية خصائص المراحل اللغوية السابقة على ظهور اللسانيات، فضلا عن شمولية تحليلات صاحب الكتاب وعمقها. وخص روبنس للتراث اللغوي العربي ثلاث صفحات (ص101–103 من مؤلف جاء في مئتين وخمسين صفحة) أشار فيها إلى:

- تأثر اللغويين العبريين في القرون الوسطى بالنحاة العرب.
- التشابه بين تقديس اللغة العربية واللاتينية وما حَظِيَتا به من اهتمام بالغ في القرون الوسطى.

– تأثير المنطق الأرسطي والفكر الهيليني في بناء النحو العربي.

– الإشادة بأعمال علماء الأصوات العرب (وخاصة سيبويه) الذين قال عنهم إنهم تَجَاوَزُوا الغربيين في هذا المضمار، من دون أن يصلوا إلى مستوى اللغويين الهنود الذين أثروا فيهم بشكل واضح[20].

وحَظِيَ التراث اللغوي العربي في كتاب "تاريخ اللسانيات منذ نشأتها إلى القرن العشرين Histoire de la linguistique des origines au 20ième siècle 1968 لجورج مونين Georges Mounin، بثلاث فقرات ضِمْنَ حديثٍ مُستفيض عن الفكر اللغوي في القرون الوسطي، ردَّدَ فيه المؤلفُ جملة من آراء المستشرقين المعروفة بشأن نشأة النحو العربي وعلاقته بالبحث اللغوي الهندي والإغريقي من دون أن يتبنى موقفاً صريحاً من المسألة مؤكدا أهمية الدراسات الصوتية عند العرب[21]. ويلخص المؤلف سمات الدرس اللغوي العربي القديم فيما يلي:

– النحو العربي نشاط لغوي فيلولوجي أساساً، إذ حصر النحاة العرب اهتمامهم في لغة القرآن وفي اللغة العربية المكتوبة.

– إهمال الجانب المتعلق بتطور اللغة العربية.

– تقديس اللغة العربية كما حصل الأمر ذاته بالنسبة إلى اللغة العبرية[22].

أما جون لاينز John Lyons 1932–2020 في كتابه (اللسانيات العامة: مدخل إلى اللسانيات النظرية) Linguistique générale: introduction à la linguistique théorique (الصادر سنة 1968) فيعرض تاريخ الفكر اللغوي قبل ظهور اللسانيات في سبع صفحات كان نصيب التراث اللغوي العربي فيها سطرين لا أقل ولا أكثر، ذكر فيهما أن النحو العربي أُخِذَ عن السريان وأنه كان للنحاة العرب اتصال مباشر بالفكر الإغريقي الروماني، وأن الفكر اللغوي العبري تأثر بالنحو العربي[23].

وفي كتاب أندريه جاكوب André Jacob(1921----)[24] الموسوم بـــ(تكوّن الفكر اللساني) Genèse de la pensée linguistique –وهو عبارة عن نصوص لسانية قديمة وحديثة– لا توجد أية إشارة إلى التراث اللغوي العربي القديم. على أن ثمة مصنفات حديثة تتضمن حديثا مطولا عن التراث اللغوي العربي نحوا ولغة وفلسفة ومنها على سبيل التمثيل كتاب جوليا كريستيفا Julia Kristeva (اللغة ذلك المجهول) (1969) Le langage cet inconnu.

ثانيا–: مواقف عربية من التراث اللغوي

عبر إطلالة سريعة على الأدبيات اللغوية العربية الحديثة، نلحظ تباين مواقف اللغويين العرب بشأن أثر التراث اللغوي العربي القديم ومكانته في تاريخ اللسانيات وقيمة تصوراته مقارنة بالنظريات التي عرفتها، وفي محاولة تطبيق مبادئها ونظرياتها على اللغة العربية. ويمكننا إجمالاً التمييز بين ثلاثة مواقف:

أ. الإشادة بالتصورات الواردة في التراث اللغوي العربي القديم نحواُ ولغة ومعجماً. ويعتقد أصحاب هذا الموقف أن لا فرق بين النحو واللسانيات سوى أن الأول قديم، وأن الثانية جديدة. أما المحتوى فهو نفسه في الحالتين. «حداثة النظرية الغربية [تقصد اللسانيات] لا يعني أنها منفصلة عن التراث، بل إن العلاقة موجودة لا بين التراث اللغوي العربي واللسانيات فحسب، وإنما بين كل التراثيات العالمية واللسانيات الحديثة، لأنه لا يمكن للسانيات أن تكون علماً برأسه له استقلاليته وعلميته وشرعيته ما لم يستند إلى التراث اللغوي العربي بله العالمي»[25].

ب. نقد النحو العربي وهو موقف عبّر عنه جيل بكامله من اللغويين العرب ابتداء من النصف الثاني من القرن العشرين أمثال: تمام حسان1918–2011، وإبراهيم أنيس 1906–1977، وعبد الرحمان أيوب توفي سنة 2013، وأنيس فريحة 1903–1993، وريمون طحان، وإبراهيم السامرائي 1922–2001، على سبيل التمثيل لا الحصر. وقد انتقد هؤلاء أسس النحو العربي من قياس وعامل وتقدير وعلة وغيرها من المفاهيم المتداولة في المنظومة النحوية العربية القديمة في ضوء أسس اللسانيات الوصفية كما كانت تمارس في أوروبا وأميركا. ونجد النقد نفسه عند اللسانيين العرب المشتغلين في إطار نظريات لسانية حديثة مثل النحو التوليدي، الذين يعتبرون أن التراث اللغوي لم يعد صالحا تاريخيا لمعالجة قضايا العربية، باعتباره أصبح متجاوزاً. ومن أبرز هؤلاء الفاسي الفهري.

ج. التَّوْفيقَ بين تصورات الفكر اللغوي العربي القديم واللسانيات في إطار ما سمي بالقراءة، أو إعادة القراءة أو إعادة التشكيل أي قراءةِ التُّراثِ اللُّغَوِي العربي القَديمِ فِي ضَوْءِ النظريات اللسانيةِ الحَديث لفهمه فهما جديدا يساير التطورات والإنجازات التي حققتها اللسانيات المعاصرة في أحدث صورها، ويعد هذا الموقف الأكثر حضوراً في الدرس اللغوي العربي اليوم، «فكل دارس قد جلب معه عُدة لسانية غربية وحاول أن يهوي بها على التراث فيعيد تأليفه وفق النظرية التي درسها وتشبع بها هذا الدارس أو ذاك. فمن بنيوية دي سوسير إلى سلوكية بلومفيلد وغلوسيماتيك هيالمسلاف ووظائفية مارتينيه وتحويلية هاريس وتوليدية تشومسكي وغيرهم كثير»[26]. ويسعى أصحاب هذا الموقف إلى إبراز ريادة التراث اللغوي العربي وأسبقيته المعرفية تاريخيا. يتجلى هذا الموقف في أبحاث رواد هذا المنحى القرائي أمثال: عبد الرحمان حاج صالح، وعبده الراجحي، وعبد السلام المسدي، ونهاد الموسى، ومحمد عيد، ومئات الدارسين العرب. وقد تقوّى هذا المنحى عند جيل جديد من اللغويين العرب في كل بقاع العالم العربي بحثا وتدريساً.

لقد تحول خطاب عدد هائل من الكتابات اللغوية الحديثة إلى البحث في إعادة قراءة التراث اللغوي القديم– مستعينا بشتى الوسائل والطرائق في تأويل تصورات اللغويين العرب القدامى في ضوء اللسانيات وما تقدمه من نظريات ومناهج وهو ما أسميناه في دراسة سابقة بـــ(لسانيات التراث) التي تحاول جاهدة إثبات تضمن التراث اللغوي العربي أصول التصورات ومناهج التحليل التي جاءت بها اللسانيات بمختلف اتجاهاتها من وصفية وتوليدية ووظيفية وتداولية وتقابلية، وقد خلق هذا التحول في طبيعة الموضوع أي الانتقال من معالجة بنيات اللغة العربية ذاتها إلى دراسة تصورات النحاة واللغويين العرب القدامى تقليداً لسانياً جديداً تكاد تنفرد به الثقافة العربية الحديثة.

والملاحظ أن المواقف السابقة لا تقوم على رؤية نظرية ومنهجية مضبوطة ولا على منظور تاريخي تعالج عبره جوانب صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، مما كشف لدى الدارسين العرب عن «قلة التنظير للممارسة العلمية وعدم تفكير الباحث (العربي) بالمسلمات التي ينطلق منها وعدم تفكيره فيما يقتضيه التسليم بها من مستلزمات ونتائج فرعية»[27]. وأن نقودهم للمنظومة النحوية العربية «لم تكن تستند إلى نظرية واضحة لما ينبغي أن تكون عليه الدراسة اللغوية العلمية، ولما ينبغي أن تكون عليه الدراسة العلمية عموماً، ولم تكن واعية بكل الصعوبات والإشكالات النظرية التي تقتضيها عملية التقييم هذه»[28]. ولما كانت «كل معرفة وبينها المعرفة العلمية متجذرة ومدونة في سياق ثقافي واجتماعي وتاريخي ومنوطة به»[29]، فإن الاهتمام باللسانيات عربياً ما انفك يجري ضمن عناية فائقة بالتراث اللغوي العربي واستعادته بوسائل شتى بوصفه مكونا تاريخيا للثقافة العربية القديمة والحديثة. فاللسانيات تلقَّن في الجامعات والمعاهد العربية على

هامش التخصصات اللغوية القديمة مثل: النحو، وفقه اللغة، والمعجم. ويوحي هذا الفهم للعلاقة التراث اللغوي العربي واللسانيات بأن لا شيءَ تَغيَّر تاريخيا في محاور البحث اللغوي وموضوعاته، وأن اللسانيات الجديدة هي نفسها الدراسات النحوية واللغوية القديمة أعيد ترتيبها وصياغتها بأسلوب حديث أو أدخلت عليها في أحسن الأحوال تغييرات طفيفة في المفهومات والمصطلحات لا وزن ولا قيمة لها، ومن ثمة فإن نضج التفكير اللغوي بلغ منتهاه في التراث العربي. ولا يتردد بعض الدارسين العرب في إلغاء الصلة التاريخية التي تربط اللسانيات بتاريخها في نسخته العربية بإدراج أعمال اللغويين العرب القدامى تحت اسم "اللسانيات"، فسيبويه هو إمام اللسانيات العربية[30]. فاللسانيات العربية بدأت مع سيبويه والإمام الجرجاني والقاضي عبد الجبار وابن حزم والسكاكي وابن خلدون وغيرهم. وإطلاق مصطلح اللسانيات على التراث اللغوي العربي بجميع أصنافه المعرفية يجسد إسقاطا ساذجا لتصورات لغوية حديثة على تصورات قديمة يلغي المسافات النظرية والمنهجية القائمة بين الفكرين اللغويين القديم والحديث من دون أدنى مراعاة لشروط تقدم المعرفة العلمية ولما تمَّ تحقيقه من إنجازات علمية وقفزات معرفية ملموسة شكلا ومضمونا أوصلت اللسانيات إلى ما هي عليه اليوم من دقة علمية. وبمثل هذا التعتيم الاصطلاحي يختفي مسار التاريخ الطبيعي والمسار التطوري الذي سار فيه التفكير اللغوي العربي في علاقته باللسانيات. ونحن نعرف أن لفظ اللسانيات على الأقل بوصفه مقابلا للفظين الإنجليزي Linguitics والفرنسي .Linguistique لم يظهر إلا في بداية القرن التاسع عشر، ويسمح تتبع ظهور كلمة "اللسانيات" بالوقوف عند المعالم التاريخية التي تكشف عن التحولات المعرفية التي عرفها مضمون الدراسات اللسانية مقابل الدراسات اللغوية القديمة. فقد ظهر أول استعمال لكلمة Linguistik في الألمانية سنة 1777 في سياق التصنيف الببليوغرافي. واكتسبت الكلمة معنى جديداً سنة 1808 على يد فاتر .J.S Vater 1771–1826 الذي استعمل اللفظة للدلالة على الـــمجال الذي يبحث في خصائص اختلاف الألسنة ويقدم تصنيفاً تُسْتخْلص منْه النتائج الخاصة بنسبها التكويني généalogie وعلاقة القرابة بينها. وظهرت الكلمة في اللغة الفرنسية سنة 1812 بوصفها ترجمة للكلمة الألمانية الواردة في عنوان المجلة التي كان يصدرها فارتر Vaterالسالف الذكر. ثم استعملت بعد ذلك بالتناوب مع عبارتي "الفيلولوجيا المقارنة" و"النحو المقارن" للدلالة على المقاربة التاريخية للألسنة مقابل كلمة "نحو" Grammaire بالمعنى المألوف. ولم تُسْتعمل كلمة اللسانيات بِمعناها العلمي الحديث إلا في بداية القرن العشرين، وكانت تشمل الدراسات الجغرافية للهجات و"النحو" بالمعنى المألوف للكلمة في الوقت ذاته[31].

5–المنظور التاريخي لإعادة قراءة التراث

منذ تسربت اللسانيات إلى الثقافة العربية الحديثة نشأ عندنا تقليد معرفي يربط اللسانيات بالتراث اللغوي العربي نحوا ولغة وبلاغة وتفسيرا وأصول فقه وغيرها بشتى الطرائق في إطار ما بات يعرف بإعادة قراءة التراث وهدفها البحث عن الامتدادات التاريخية بين التصورات التراثية واللسانيات في سياق صلات التماثل والاختلاف بينهما. وتم عقد هذه الصلات في أفق مساءلة الأصول التاريخية للسانيات. وتمثل عودة الدراسات اللسانية العربية إلى التصورات التراثية–لفهمها في ضوء اللسانيات– تجسيدا قويا للتعبير عن موقف فكري تاريخي جاء عبارة عن رد فعل إزاء الإحباط التاريخي الذي طالما أحس به أولئك الذين نظروا في العلاقة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات بين الفكر اللغوي العربي القديم وحاولوا أن يفككوا بنية الصلات بينها، ويرصدوا نقط ائتلاف جذورهما الإبستيمية (المعرفية) أو اختلافها. وتتجلى مظاهر هذا الإحباط التاريخي في ما أطلق عبد السلام المسدي الثغرة العربية في تاريخ اللسانيات، وهي "ثغرة اعتباطية ليس لها

ما يفسرها"(....) و"لا يمكنها أن تكون عفوية"، (....)" ولا يجوز لها أن تخلو من مؤشرات تاريخية تفسرها وإن لم نستطع تبريرها"[32]. وكأن لسان حال اللغويين العرب يقول: كيف يكتب تاريخ الفكر اللغوي الإنساني منذ أقدم العصور ولا تؤخذ التصورات العربية المكانة التي تستحقها تاريخيا علما بأن الإرث العربي غني بتصوراته اللغوية التي تفوق في كثير من الأحيان ما قدمه الغرب نفسه من لسانيات؟ فكل ما قيل عن اللغة ومعرفة اللغة سبق وضعه في التراث اللغوي العربي. وإعادة قراءة التراث اللغوي العربي بما انتهت إليه من خلاصات واستنتاجات هي في نهاية التحليل تعويض عن الإحباط الناجم عن الثغرة التاريخية المتمثلة في "أن الغرب أهمل التراث اللغوي العربي فلم يفد منه شيئا" في بناء اللسانيات الحديثة مثلما يشير إلى ذلك المسدي[33] وغيره. إذ انتهت إلى تأكيد قوة التصورات اللغوية العربية القديمة وريادتها بصفتها تتجاوز حدود سيرورة التطور الطبيعي بين العلم (اللسانيات) وتاريخيه (التراث اللغوي العربي أو أي تراث إنساني آخر. "إن أهل الغرب لو انتبهوا إلى نظرية العرب في اللغويات العامة عند نقلهم لعلومهم في فجر النهضة لكانت اللسانيات المعاصرة على غير ما هي عليه اليوم، بل لعلها كانت تكون قد أدركت ما قد لا تدركه إلا بعد أمد"[34]. وما يكتب ويدرس في اللسانيات العربية الحديثة إلا في حالات نادرة ينتهي إلى أن التراث العربي تضمن منذ قرون خلت أصول اللسانيات الحديثة. فاللسانيات الوصفية والتوليدية والوظيفية والتوليدية موجودة ضمنا وعلنا في مصنفات القدماء. ويتناسى الدارسون العرب أن اللسانيات ليست استمرارا للفكر اللغوي العربي وأن أسسهما الفنية مختلفة كليا، وأن الفكر اللغوي العربي القديم لا يشكل جزءا لا يتجزأ من ماضي اللسانيات، إذ إن التعرف على اللسانيات بوصفها علما مستحدثا لم يكن ممكنا من دون ظهور اللسانيات في الغرب. فاللسانيات وليدة الفكر الغربي «ولا يمكننا نحن العرب معرفة هذا العلم الجديد إلا من خلال نافذة الألسنة الأجنبية الإنجليزية والفرنسية، (...) ولا يمكننا إلا أن نعترف بأن اللسانيات هي محض العقلية الغربية التي أنتجتها»[35].

إن ما اعتبر فجوة أو ثغرة تاريخية هو في واقع الحال حتمية طبيعية وعادية جدا، كانت منتظرة لانعدام الصلة المعرفية بين التراث اللغوي العربي والتراث اللغوي الإغريقي اللاتيني عموما لاختلاف المكونات الثقافية والحضارية. ونحن لا ننكر أن «للمعرفة العلمية أصولا قديمة ومتنوعة ولكنها لم تشكل فضاء خاصاً إلا في أوروبا الغربية إبان القرن السابع عشر»[36]. لكن العلم لا يلتفت إلى ماضيه كما يقال. فتاريخ العلم هو تاريخ أخطاء، بينما يفسح التقدم العلمي المجال لظهور إشكالات معرفية جديدة تختلف عن سابقاتها من حيث عمقها وطريقة طرحها وأسلوب معالجتها. وهذا ما حصل في اللسانيات وغيرها من العلوم الإنسانية بماضيها المعرفي. وكأي منظومة فكرية فإن التراث اللغوي العربي القديم منظومة محدودة معرفيا في الزمان، ومن ثمة فإن الحديث عن "سبق التصورات التراثية للسانيات تاريخيا لا معنى له، ولا يقر به لا تاريخ العلم ولا نظرية المعرفة فضلا على أن ما تقترحه علينا الممارسة العلمية حقائق نسبية والملاحظ أن قراءة النصوص التراثية من منظور لساني حديث تغير رُتْبَةَ العلاقة بين العلم وتاريخه لاسيما حين يصبح التراث سابقاً على اللسانيات لا من الناحية الزمانية وهو أمر طبيعي وإنما معرفيا عبر الزعم بأسبقية التراث اللغوي العربي على اللسانيات بل إن "العرب قد سبقوا الغرب إلى بعض النظرات اللسانية، ولن يصل الغربيون إلى بعضها الآخر إلا بعد أمد طويل[37]. ويذهب إلى الغاية نفسها باحث آخر قائلاً: «إن العرب بحكم مـــيزات حضارتهم، أفضى بهم النظر إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخراً بفضل ازدهار علوم اللسان في مطلع القرن العشرين»[38]، ونحن لا ننكر أيضا أنه ينبغي أن يؤرخ للتراث اللغوي العربي كما يؤرخ لغيره ضمن مسار التفكير اللغوي الإنساني لا سيما الفكرين

اللغويين الهندي واليوناني ولغويات القرون القرون الوسطى، وأن يعطى تراثنا مكانته اللائقة به في ركب الحضارة الإنسانية، لكننا نرفض جملة وتفصيلا الفهم المغلوط لجدلية العلاقة بين العلم وتاريخه المبني على الوهم المعرفي وعلى الاصطدام التاريخي لتصفية صراعات خفية. وقد تكون الإكراهات الحضارية التي تواجه الثقافة العربية في عالم اليوم بما يعج به من تناقضات ومواجهات معرفية مباشِرة أو غير مباشِرة وراء المبالغة في تنزيل التراث اللغوي العربي قصد المحافظة عليه بصفته يجسد هوية الثقافية العربية الراسخة ورأس مالها الرمزي وما إلى ذلك، وهي إكراهات ندرك أهميتها وأثرها وخطورة التفريط فيها على تاريخ الأمة التليد ومستقبلها، لكن ذلك لا ينبغي أن يحجب أيضا متطلبات المعرفة العلمية الدقيقة. فلكل زمان نسقه العلمي ومفاهيمه وتأويلاته وسياقاته المعرفية، وإلا لا معنى للحديث عن العلم ولا عن التقدم العلمي. وهو ما يعني أن جدلية العلم وتاريخ بما هي إشكالية محورية في تاريخ العلم وتاريخ الفكر تسقط دفعة واحدة، وتصبح من دون جدوى معرفية في الفكر اللغوي العربي[39].

6- الحاجة إلى تاريخ إبستيمولوجي

لا شك في أن إعادة قراءة التراث تجسد موقفا فكريا إزاء العلاقة التاريخية بين المنظومة التراثية العربية واللسانيات، إلا ما نعيبه على إعادة القراءة في معالجتها هاته يتمثل في غياب منظور إستيمولوجي تاريخي يضبط بدقة نوعية العلاقة ببين التراث واللسانيات بصفتها علاقة جدلية بين العلم (اللسانيات) وتاريخه (التراث اللغوي العربي وغير العربي). فالممارسة العلمية سيرورة تاريخية لا تتوقف على مر الأزمان والحقب ولا تعرف الاستقرار على حال واحدة، وهو ما تتجاهله الدراسات العربية القائلة بالتماثل التصوري والمنهجي بين التراث اللغوي العربي واللسانيات. ولهذا تحول موضوع العلاقة بينهما إلى مجال فضفاض يعج بتأويلات واستنتاجات لا يدعمها لا تاريخ المعرفة ولا إبستيمولوجية العلوم، وأصبح مدار أحكام تطلق من دون رقيب نظري ولا حسيب منهجي، من ذلك القول بأن اللسانيات التي «جاء بها المحدثون في أوروبا وأميركا إن هي إلا بضاعتنا ردت إلينا في أثواب أعجمية»[40].

ولتأسيس فكر تاريخي قادر على رفع اللبس التاريخي والتناقض اللذين ميزا علاقة التوتر بين اللسانيات وتاريخها في صيغته العربية نحن في حاجة إلى مقدمتين معرفيتين ضروريتين تتضمنان الموضوعات الآتية:

أولا: تحليل نقدي تاريخي لأسس الفكر اللغوي القديم والحديث يكون هدفه:

أ – ضبط الشروط المعرفية التي تجعل المرء يقرر أن هذه المعالجة اللغوية أو تلك تندرج ضمن الدراسات اللغوية القديمة أو ضمن اللسانيات أو هي مجرد كلام انطباعي وتأملات في اللغة لا تمت بصلة إلى المعرفة اللغوية المضبوطة بصلة. فالثقافة اللغوية العربية لم تكتب بعد لا تاريخ تراثها اللغوي ولا تاريخ اللسانيات.

ب – الإجابة عن سؤال «ما هي يا ترى هذه اللسانيات كعلم ونشاط تحليلي وكفلسفة وكصورنة إلخ؟ وكيف نستطيع تمثلها؟ وما علاقتها بالثقافة؟ وما علاقتها بالعلوم الأخرى الدقيقة وغير الدقيقة؟ وما النشاط اللساني بالمقارنة مع أنشطة علمية أخرى؟»[41].

ثانياً: صياغة تصور إبستيمولوجي دقيق يتضمن قضايا تخص مفهومَ العلم ومقوماته بصفته بناء نظريا، وصلةَ العلم وتاريخه استنادا إلى مفهوم التطور العلمي: كيف يتطور العلم؟ وكيف تتغير صورته ومعاييره من مرحلة إلى أخرى؟، وبالجملة كيف تحدث الثورات العلمية؟ الخ.

وقد يصبح الحديث عن العلاقة التاريخية بين التصورات التراثية العربية واللسانيات عبارة عن أوهام معرفية وتصورات خاطئة لا جدوى منها علميا ومعرفيا لأنها تفتقر إلى أبسط شروط المقاربة السليمة التي

تستند إلى رؤية إبستيمولوجية قادرة على رصد تطور جوانب علم من العلوم من حيث مصادره أو أصوله التي تحدد تاريخيته وتقف على افتراضاته الكبرى (حدود مجاله، طبيعة موضوعه والأهداف المتوخاة من دراسته)، وأسسه المنهجية العامة الخ. فالثقافة اللغوية العربية في علاقتها باللسانيات في حاجة اليوم إلى مقاربة نقدية إبستيمولوجية تاريخية تفحص تسلسل المفاهيم العلمية وانتقالها من حقل معرفي إلى آخر عبر أشكال تصورية مختلفة القنوات والوسائل أي القيام بنوع من التاريخ الإبستيمولوجي. للعلوم الذي يعد «وصفا يتخذ العلم الذي اكتملت نشأته معيارا والتاريخ الذي يحكيه يخضع بالضرورة لمقياس تعارض الحقيقة والخطأ المعقول واللامعقول العائق والخصوبة، الطهارة والدنس، العلمي واللاعلمي»[42]. نحن في حاجة إلى رؤية إبستيمولوجية تاريخية «تقطع الطريق أمام التراكم اللامحدود للمعارف وتوقف نموها البطيء وتزج بها داخل زمن جديد وتفصِلها عن مصدرها الاختباري ودوافعها الأصلية وتطهرها مما علق بها من أوهام خيالية، وهي بذلك تدفع التحليل التاريخي لا إلى تقليص البدايات الصامتة أو إلى الصعود اللامحدود نحو الممهِّدين الأوائل؛ بل إلى رصد نمط جديد من المعقولية ورصد نتائجه المتعددة»[43].

7–كي لا نختم

إذا كان البحث في اللغة بحثا قديما قِدم استعمال الإنسان للغة نفسها فهو ما فتئ ينتقل من براديغم Paradigme إلى آخر وفق تطور المعرفة الإنسانية نفسها وحاجياتها. ولا يخرج التراث اللغوي العربي ولا اللسانيات نفسها عن هذه القاعدة العامة في تطور المعرفة الإنسانية، ومن ثمة يجب النظر إلى التراث اللغوي العربي القديم مثل الفكر اللغوي الهندي واليوناني والروماني وفكر القرون الوسطى في أوربا ولغويات ما قبل ظهور اللسانيات الحديثة على أنه يجسد مرحلة من مراحل الفكر اللغوي الإنساني مثلما أن اللسانيات ليست سوى مرحلة من التفكير البشري في اللغة الممتد عشرات القرون. إعمال الفكر في ظاهرة اللغة وفي الألسنة الطبيعية فعل إنساني واع يتطور وينمو حسب الإمكانات المعرفية المتاحة لكل ثقافة في سياق تاريخي اجتماعي خاص بها من دون غيرها. ويحتم علينا هذا المنظور لتطور المعرفة لنقل العلاقة الوثيقة بين العلم وتاريخيه أن لا نحكم سلباً أو إيجاباً على المقاربات القديمة بمعايير المقاربات الجديدة؛ لأن العلم نفسه يتطور ويتغير من حقبة إلى أخرى بل حتى داخل الحقبة الواحدة (انظر مثلا مفهوم اللامقايسة عند توماس كون Thomas Kuhn في كتابه بنية الثورات العلمية الصادر سنة 1962).

وتجد التصورات التراثية العربية القديمة في ضوء اللسانيات مكانا مريحا لها ضمن اللسانيات بجميع نظرياتها ما ظهر منها وما سيظهر دون أن يشعر مؤولو التراث بالحرج التصوري والمنهجي وهم يؤكدون «أن التراث العربي يمكنه أن يجمع الأصول البنيوية والوظيفية والسلوكية والتوليدية والعرفانية دون أن يوقعنا ذلك في مفارقة منهجية أو مغالطة موضوعية». ومعنى ما سبق أن التراث العربي يقدم حقائق مطلقة حول اللغة كانت سابقة عما وصلت إليه اللسانيات بمسافات زمانية طويلة ليس قولاً علمياً ولا علاقة له بحقيقة الممارسة العلمية في اللسانيات ولا بتاريخها، وأن إعادة قراءة التراث تتأسس على إبعاد مفهوم التقدم العلمي في بعده التاريخي لتطور العلم والمعرفة العلمية عامة، إذ يردد كثير من اللغويين العرب أنه لا يوجد « وضع فاصل زمني بين القديم والحديث ما دام البحث اللساني الحديث هو امتداد للقديم وإنتاج طبيعي له» ومن ثمة لا مجال لحدوث قطائع معرفية تنتقل بالمعرفة إلى الأدق والأشمل، وإنما تعتبر المنجزات المعرفية استمرارا عاديا للماضي غير منفصل عن المرحلة الراهنة، وأصلا ثابتا للعلم الحاضر.

إن الطريقة المتبعة في التعامل مع النصوص اللغوية القديمة وفق إعادة قراءة التراث في ضوء اللسانيات تغير رُتْبَةَ العلاقة بين العلم وتاريخه، حين يصبح التراث سابقاً على اللسانيات لا من الناحية

الزمانية وإنما معرفيا: «إن العرب قد سبقوا الغرب إلى بعض النظرات اللسانية ولن يصل الغربيون إلى بعضها الآخر إلا بعد أمد طويل». و«إن العرب بحكم مميزات حضارتهم، أفضى بهم النظر إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخراً بفضل ازدهار علوم اللسان في مطلع القرن العشرين» والسؤال الذي يفرض نفسه علينا هو: كيف يمكن القول بأن التراث اللغوي العربي سبق اللسانيات إلى هذه النظرية أو تلك في الوقت الذي نعلم فيه جيدا أننا تاريخيا لم نصل إلى هذه النتيجة إلا في ضوء مقدمات تصورية ومنهجية زودتنا بها اللسانيات؟

الهوامش

(1) Gerald Bolton, Science en progrès, science en procès, Paris, Gallimard, 1998/ 1996, p. 22

(2) صابر حباشة. اللغة والمعرفة. دمشق. منشورات صفحات.٢٠٠٨، ص 7.

(3) G. Mounin, Histoire de la linguistique des origines au XX ième siècle, Paris,. P.U.F 1968., p. 7.

توجد ترجمة عربية لهذا الكتاب الأساسي في تاريخ اللسانيات بعنوان تاريخ علم اللغة منذ نشأتها إلى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين القاسم، منشورات الجامعة السورية، دمشق 1972.

(4) روبنز، موجز تاريخ علم اللغة، ص 19.

(5) محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1976، ص47 وما بعدها.

(6) محمد عابد الجابري، المصدر السابق. ج 1، ص 52.

(7)محمد عابد الجابري، المصدر السابق، ج1، ص 50.

(8) حول مفهوم النموذج الإرشادي (براديغم Paradigme) عند طوماس كون Kuhn يمكن الرجوع إلى كتابه الشهير: ثورة البنيات العلمية (1962)، الكويت، عالم المعرفة رقم 168، [ترجمة شوقي جلال] وتوجد ترجمات عربية أخرى لهذا الكتاب الهام في تاريخ العلم وفلسفته وتطوره من نموذج إلى آخر.

(9) جورج مونين، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها إلى القرن العشرين، ص 5.

(10) Léonard Bloomfield (1933), Le langage, Payot, Paris, 1972, p.9.

(11) روبنز، موجز تاريخ علم اللغة، ص 19.

(12) G. Mounin: Histoire de la linguistique des origines au XX ième siècle, Paris, P.U.F, 1968, p. 32.

(13) G. Mounin Clefs pour la linguistique, Seghers, Paris,1968, p.19.

(14) Ferdinand De Saussure, Cours de linguistique générale, Paris Payot, 1974, 1ière Edition 1916. p.13.

(15) N Chomsky, Linguistique cartésienne, Paris, Seuil, 1969/1966.

(16) نكتفي هنا بأهم محطات تعامل اللسانيات مع تاريخها لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى كتابنا في اللسانيات العامة، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة 2010. وعن هذا الكتاب نقلنا بعض الإشارات التاريخية.

(17) Léonard Bloomfield، (1933) , le Langage, Paris, Payot, 1973, p، 15.

(18) يمكن الرجوع للترجمة العربية التي أنجزها سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد لمؤلف ميلكا إيفيتش بعنوان، **اتجاهات البحث اللساني**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،1968 الطبعة 2/ 2000 والكتاب في أصله مكتوب باللغة الصربية، صدر سنة 1963 ومنها ترجم إلى الإنجليزية سنة 1965.

(19) اتجاهات البحث اللساني، ص30–32.

(20) روبنز، المرجع المذكور، ص102.

(21) George Mounin, Histoire de la linguistique des origines au 20ième siècle, Paris, PUF,1973 , p. 111.

(22) Idem, p. 117.

(23) John Lyons. Linguistique générale, Paris, Larousse, 1970, p. 18.

(24) André Jacob, Genèse de la pensée linguistique, Paris, Armand Colin, 1974.

(25) هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، الرباط، دار الأمان ومنشورات ضفاف والاختلاف،2015، ص، 26.

(26) صابر الحباشة، اللغة والمعرفة رؤية جديدة، دمشق، دار النشر صفحات، 2008، ص7.

(27) عز الدين مجدوب، المنوال النحوي العربي، قراءة لسانية جديدة، نشر كلية الآداب سوسة ودار علي الحامي، 1998. ص 12.

(28) عز الدين مجدوب، ص 12.

(29) لويس ألثوسر، الفلسفة وفلسفة العلماء العفوية [ترجمة وتقديم رضا الزواري]، الدار البيضاء، عيون، 1989، ص 58.

(30) المنصف عاشور، المعاني في اللسانيات العربية، الموقف الأدبي، عدد 135–136، دمشق منشورات اتحاد كتاب العرب، 1982.

(31) Sylvain Auroux, Histoire des idées linguistiques, (تاريخ التصورات اللغوية) Sprimont, (Bruxelles), Mardaga, 2000, tome 3, p. 11.

وانظر محاضرتنا الافتتاحية بعنوان أي مفهوم للسانيات في الدرس اللساني العربي الحديث؟ الملتقى الدولي حول: ترجمة اللسانيات ولسانيات الترجمة، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش 27–28 فبراير 2018.

(32)عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، تونس، الدار العربية للكتاب، 1981، ص 22.

(33)المرجع نفسه، ص23.

(34)عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية ص23.

(35)مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات، ص21.

(36) إدغار موران، المنهج، الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها وتنظيمها، الجزء الرابع، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2013، ص 81 [ترجمة جمال شحيد]

(37) أكرم عثمان، دراسة في المنهج الصوتي عند العرب، اللسانيات في خدمة اللغة العربية، تونس، منشورات مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، 1983.

(38)عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص26.

(39) انظر مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة قراءة نقدية تحليلية في الأسس النظرية والمنهجية، منشورات كلية الآداب الدار البيضاء عين الشق 1998.

(40) كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ط3 1992/ط1981، ص7.

(41) الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ج1، ص11.

(42) ميشال فوكو حفريات المعرفة، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1986/ 1972، ص 182[ترجمة سالم يافوت] ومن مصادر الإبستيمولوجيا النقدية أو الإبستيمولوجيا التاريخية في الفلسفة الفرنسية المعاصرة نذكر على وجه الخصوص: باشلارد وفوكو وكانغلهيم وإدغار موران.

(43) ميشال فوكو، حفريات المعرفة، الدار البيضاء، ص 182.

CONFLICT OF INTERESTS
There are no conflicts of interest

المراجع العربية

1. -أكرم عثمان، دراسة في المنهج الصوتي عند العرب، اللسانيات في خدمة اللغة العربية، تونس، منشورات مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية،1983.
2. -ألثوسر لويس، الفلسفة وفلسفة العلماء العفوية، الدار البيضاء، عيون،1989، [ترجمة وتقديم رضا الزواري]
3. -إيفيتش ميلكا، اتجاهات البحث اللساني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،1968 الطبعة2، 2000 [ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد]
4. -حلمي خليل، اللغة العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1988.
5. -الجابري محمد عابد،مدخل إلى فلسفة العلوم، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1976.
6. -جورج مونين، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها إلى القرن العشرين، دمشق، منشورات الجامعة السورية، 1972. [ترجمة بدر الدين القاسم]
7. -الحباشة صابر، اللغة والمعرفة رؤية جديدة، دمشق، دار النشر صفحات، 2008،
8. -الراجحي عبده، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، بيروت، دار النهضة العربية، 1979.
9. -زكي حسام الدين كريم، أصول تراثية في علم اللغة، القاهرة، عالم الكتب، 1985، ط1/1981.
10. -عاشور المنصف، مساهمات اللسانيات العربية في الدراسات المعاصرة بين القراءة والكتابة، تونس، الحياة الثقافية، عدد 24، السنة 7/1982.
11. -عاشور المنصف، المعاني النحوية في اللسانيات العربية، دمشق، الموقف الأدبي، عدد135، تموز، 1982.
12. -غلفان مصطفى، اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، منشورات كلية الآداب عين الشق، الدار البيضاء، 1998.
13. -غلفان مصطفى، في اللسانيات العامة، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010.
14. -غلفان مصطفى، اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، عمان، دار ورد للنشر والتوزيع، 2013.

15. –غلفان مصطفى، أي مفهوم للسانيات في الدرس اللساني العربي الحديث؟ محاضرة افتتاحية الملتقى الدولي حول: ترجمة اللسانيات ولسانيات الترجمة، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش 27–28 فبراير 2018.
16. –الفاسي الفهري عبد القادر، ملاحظات حول الكتابة اللسانية، الرباط، مجلة تكامل المعرفة، عدد9/1984.
17. –الفاسي الفهري عبد القادر، أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني، ضمن كتاب: المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، دار توبقال، 1985.
18. –الفاسي الفهري عبد القادر اللسانيات واللغة العربية، الدار البيضاء، دار توبقال، 1985.
19. –فوكو ميشال، حفريات المعرفة، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1986. ترجمة سالم يفوت.
20. –قنصوة، صلاح، فلسفة العلم، بيروت، دار التنوير، 1982، ط2.
21. –المتوكل أحمد، نحو قراءة جديدة لنظرية النظم عند الجرجاني، الرباط، مجلة كلية الآداب محمد الخامس، عدد1/1977.
22. –المتوكل أحمد اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي، ضمن أعمال ندوة البحث اللساني والسيميائي، الرباط، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، 1984.
23. –مذكور عاطف، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، القاهرة، دار الثقافة للنشر، 1987.
24. –مجدوب عز الدين، المنوال النحوي العربي، قراءة لسانية جديدة، نشر كلية الآداب سوسة ودار علي الحامي، 1998.
25. –المسدي عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، تونس، الدار العربية للكتاب، 1981.
26. –موران إدغار، المنهج، الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها وتنظيمها، الجزء الرابع، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2013، ص 81 [ترجمة جمال شحيد].
27. –الموسى نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ن 1980.
28. –الموسى نهاد، مقدمة في علم تعليم اللغة العربية، ضمن أعمال ندوة اللسانيات في خدمة اللغة العربية، تونس، 1983.
29. –هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، الرباط، دار الأمان ومنشورات ضفاف والاختلاف ــ 2015.
30. –الوعر مازن، أزمة اللسانيات واللسانيين في الوطن العربي، دمشق، مجلة المعرفة، عدد 251/ 1983.
31. –الوعر مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دمشق، دار طلاس، 1988.

32. المصادر الأجنبية:

33. Auroux, Sylvain, histoire des sciences et entropies des systèmes scientifiques; In Archives et Documents de la Societé d'Histoire et d'Epistémologie des Sciences du Langage, N 7/1986.
34. Auroux Sylvain, Histoire des idées linguistiques, (تاريخ التصورات اللغوية) Sprimont, (Bruxelles), Mardaga, 2000, tome 3
35. Benveniste Emile, Problèmes de linguistique générale, Paris, Gallimard, 1966.
36. Bloomfield Léonard, Le langage, Payot, Paris, 1972, (V. O1933.Bolton Bolton Gerald, Science en progrès, science en procès, Paris, Gallimard, 1998/ 1996.

37. Chomsky Noam : Linguistique cartésienne, Seuil, Paris, 1969/1966
38. Granger Gilles Gaston, langages et épistémologie, Paris, Klincksieck, 1979.
39. Jacob André, Genèse de la pensée linguistique, Paris , Armand Colin, 1974
40. Jannot Michel, la pratique linguistique: Science ou idéologie, Paris, Dunod, 1975.
41. Hempel Karl, Elèments d' épistémologie, Paris, A. Colin, 1972.
42. Lyons John, Linguistique générale, Paris, Larousse, 1970.
43. Mounin George; Histoire de la linguistique des origines au XX ième siècle,.Paris, P.U.F, 1968.
44. De Saussure Ferdinand, Cours de linguistique générale, Payot, Paris, 1974, 1ière Edition 1916.